أقوى رجل في العالم

محمود سالم

أقوى رجل في العالم

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

أقوى رجل في العالم

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٥ ٢٥٦٨ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٨.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
في مستنقع الشيطان!	١١
الرجل العجوز!	١٧
ماذا يريد «مارتينز»	٢٣
خزينة بلا مفتاح!	٢٩
لص في قصر المليونير!	٣٥
رسول في الفجر!	٤١
هناك دائمًا مطاردة!	٤٧

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

في مستنقع الشيطان!

استطاع «أحمد» أن يقوم بتسجيل شريطٍ لاجتماع اتحاد العصابات في قصر المليونير «مارتينز»، واتَّضح للشياطين الخمسة الذين ذهبوا إلى الأرجنتين أن مجموعة من العصابات تُموِّل عمليات خطف العلماء، والذهاب بهم إلى مكانٍ مجهول لهدفٍ مجهول.

كان الشياطين الخمسة الذين قاموا بالمهمة في الأرجنتين هم: «أحمد»، و«عثمان»، و«قيس»، و«إلهام» و«هدى» ... وقد التحق «أحمد» بخدمة «مارتينز» كحارس خاص ... والتحق كل من «قيس» و«عثمان» بالعمل كحارسَين للماشية في مراعي المليونير، بينما أقامت «هدى» و«إلهام» في كشك العجوز «فيجو»، للتدخُّل في أيِّ وقتٍ إذا دعَت الحاجة إلى ذلك ...

وبعد الحصول على الشريط الخطير، سافرت «هدى» به إلى مقرِّ الشياطين السرِّي ... وبعد أن استمع «رقم صفر» للشريط، وصلت إلى «هدى» تعليمات من «رقم صفر» بعقد اجتماعٍ لها ولـ «زبيدة» ولـ «بوعمير» ولـ «فهد» في قاعة الاجتماعات رقم «٥».

جلس الشياطين الأربعة في القاعة الصغيرة ... فسمعوا وقع خطوات «رقم صفر» الثقيلة وهو يدخل، ثم ساد صمت قصير، وتحدث «رقم صفر» فقال: إننا نضع يدنا الآن على وثيقة خطيرة، قد تُؤدِّي إلى سقوط أكبر مجموعة من العصابات في نصف العالم الغربي، ولكن من المهم جدًّا أن نتصرَّف بحذر، وأن نعتمد على أنفسنا.

وسكت «رقم صفر» لحظات ثم مضى يقول: من السهل طبعًا أن نضع هذه الوثيقة، وهي الشريط المسجَّل، في يد الحكومات التي يُهمها الأمر، ولكن التجربة أثبتت أن هذه العصابات قادرة باستمرار على الخروج من هذه المآزق ببساطة ... والدليل على هذا أن حادث سقوط الطائرة التي كانت تحمل العالِم السويدي فوق جزر «فولك لاند»،وقد مرَّ وطواه النسيان كأيِّ حادث عادي، رغم أنه كان واضحًا أن هناك أصابع إجرامية وراء

خطف العالم السويدي ... لهذا لن نَلجأ إلى الحكومات، إلا إذا وجدنا أنفسنا غير قادرين على التصدي لهذه المجموعة من العصابات ... ومؤقتًا ستعود «هدى» إلى «الأرجنتين» ومعها تعليماتي بخصوص مهمة الشياطين الخمسة هناك، وستبقى هنا فرقة عمل جاهزة للسفر فورًا إذا احتاج الأمر ...

قال «خالد» معلقًا: ولماذا لا نُسافر الآن يا سيدي، ونكون قريبين من مواقع الأحداث؟ ...

رد «رقم صفر» على الفور وقال: لقد استطاعت المجموعة التي سافرت أن تُبرِّر وجودها هناك، واستطاع «أحمد» أن يَدخل قصر «مارتينز»، وأن يصبح حارسًا خاصًّا للمليونير، وهو وضع مُتميِّز لا يجب أن نخسره ... وذهابكم إلى هناك قد يلفت أنظار هؤلاء المُجرمين إليكم، وقد يُعرِّض حياة «أحمد» وزملائه لمخاطر نحن في غنًى عنها ...

ساد الصمت لحظات بعد هذا التفسير المُقنِع الذي قدمه «رقم صفر»، ثم مضى يقول: إن تعليماتي المؤقتة للشياطين الخمسة في الأرجنتين، هي محاولة الحصول على أكبر قدرٍ من المعلومات والأدلة ضدَّ هذه العصابات، وأيضًا محاولة إنقاذ عالِم الذَّرة المصري الدكتور «جمال زهران» الذي كان خطفُه دافِعَنا الأول للتدخُّل في هذه العملية ... على أن تكون بينهم وبين المقرِّ السرِّي رسائل مستمرة ...

هدى: هل أستطيع السفر اليوم؟

رقم صفر: لا، في الغد ... وسوف أدرس الموقف الليلة مع أعواني، وبعد التشاوُر قد نتَّخذ قرارات أخرى ...

وسمع الشياطين صوت حركة كرسي «رقم صفر» وعرفوا أنه يُغادر مكانه فقاموا جميعًا، وسرعان ما كانوا يجلسون في «كافتيريا» المقر السري ... وانهالت الأسئلة على «هدى» عن تفاصيل المهمة والمعارك التي خاضَها الشياطين من أجل تثبيت أقدامهم في «باهيا بلانكا» ... وتمنَّى الموجودون كلهم أن يدخلوا هذه المعركة التي تدور على بُعد آلاف الأميال ...

قضت «هدى» ليلة هادئة، نامت نومًا عميقًا في فراشها الوثير بالمقرِّ السري ... وفي صباح اليوم التالي تحدَّث إليها «رقم صفر» في الميكروفون، وطلب منها الاستعداد للسفر خلال ساعتين، وقال لها إن قسم التنفيذ سيتولَّى تجهيز كل وسائل السفر، وإن التعليمات ستكون معدَّة، ومكتوبة بالشفرة وبالحبر السري في مظروف صغير تأخذُه معها إلى «باهيا بلانكا» ...

لم يكد «رقم صفر» ينتهي من حديثه حتى قالت «هدى»: هناك احتمال أن يضطر «أحمد» إلى الاشتراك في بعض العمليات لحساب «مارتينز»، فما هي التعليمات بهذا الخصوص؟

رد «رقم صفر»: ممكن، ما عدا القتل ... إن وجود «أحمد» في قلب العصابة مهم جدًّا، ولا بأس في أن يشترك في بعض العمليات، ولكن دون أن يلوث يدَيه بأعمال إجرامية خطيرة ... وعلى كل حال سوف يُحسن هو التصرف، وفي جميع الأحوال حافظوا على سلامتكم وتمنياتي لكم ...

أسرعت «هدى» تُعد حقيبتها، وفي الموعد كانت إحدى سيارات المقر السري تخرج من الأبواب الصخرية التي تتحرك إلكترونيًّا، وسرعان ما استقبلت الصحراء الواسعة التي تحيط بمقر الشياطين، ثم تنطلق إلى أقرب مطار.

تسلمت «هدى» المظروف من سائق السيارة، ومعه التذاكر. وبعد وصولها إلى المطار بساعة كانت تركب الطائرة، وتُحلق في طريقها إلى الأرجنتين ...

عندما وصلت «هدى» إلى «باهيا بلانكا» وجدت رسالة في انتظارها في الفندق، فهمت منها أن من المهم أن تتجه فورًا إلى كوخ العم «فيجو»؛ لأن بعض الأحداث قد جرت أثناء غيابها ...

وهكذا لم تنعم بلحظة راحة واحدة، وانطلقت مسرعة إلى كوخ «فيجو» في تاكسي، وعندما اقتربت من كوخ العم «فيجو» عند بداية الطريق المترب، طلبت من السائق التوقف، ودفعت الأجر ثم نزلت مسرعة ... وكانت مفاجأة كاملة لها أن تجد الكوخ خاليًا، ليس به أحد، لا العم «فيجو» ولا «إلهام» ...!

وقفت «هدى» تنظر حولها ... لم يكن هناك أثر لشيءٍ هامٍّ ... لا آثار معركة ولا حريق، ولا شيء على الإطلاق ... والأغرب من هذا كله، لم تجد أي رسالة من «إلهام» توضح لها ما حدث ...!

اختارت «هدى» كرسيًّا من عشرات الكراسي المحطَّمة داخل وخارج الكوخ وجلست، وأخرجت من حقيبة يدها بعض «الساندوتشات»، وأخذت تأكل في بطء وهي ترقب الشمس الغاربة تقترب من حافة الأفق، وتنزل تدريجيًّا في المحيط، مخلفة وراءها أفقًا داميًا ... وساد صمت عميق، لم تكن تقطعه إلا صيحات الطيور وهي تأوي إلى أعشاشها بعد يوم طويل ...

جلست «هدى» تمضغ طعامها القليل في بطء، وهي تفكر فيما يمكن أن يكون قد حدث وهي في المقر السري ... وهبط الظلام والبرد وهي جالسة في مكانها دون أن يظهر

أحد، لا «إلهام»، ولا العم «فيجو» ... وقامت فدخلت الكوخ، وأشعلت النيران في المدفأة، وجلست بجوارها تنظر إلى ساعتها بين لحظة وأخرى ...

في هذه الأثناء كانت الأحداث التي أشارت لها «إلهام» في رسالتها التي وجدتها «هدى» في الفندق؛ كانت هذه الأحداث تدور في المراعي الواسعة، وفي السهول والجبال ... فقبل فجر اليوم، كان «عثمان» يقوم بحراسة الطرف الشمالي للمرعى الكبير، فسمع على البُعد صوت فِرسانٍ مُقبلين، وظن لأول وهلة أنهم من رجال «مارتينز»، فبقي جالسًا على جذع شجرة وقد وضع بندقيته أمامه، ولكنه سمع صوت باب إحدى الحظائر يُفتح، وصوت خوار الأبقار يرتفع، ولم يكن ممكنًا أن يقوم أي شخص بفتح هذه الحظائر دون إذنٍ منه ... وهكذا قفز إلى ظهر حصانه وأسرع شاهرًا بندقيته ناحية الصوت، ولكنه لم يكد يقترب من الحظيرة حتى فوجئ بأكثر من خمسة أشباح تُحيط به من كل ناحية، والبنادق في أيديهم مصوبة إليه، وقال واحد منهم بصوت خَشِن: ألقِ بندقيتك يا بني!

لم يُلقِ «عثمان» بندقيته كما طلب ذو الصوت الخشن وسأل: من أنتم؟! رد الرجل: لا داعيَ لأن تعرف شيئًا، لقد جئنا لاستعارة بعض الأبقار من «مارتينز» ...

وفهم «عثمان» معنى «الاستعارة»، لقد جاءوا لسرقتها، ولم يتركُوا له فرصة لحديث آخر؛ فقد شعر بفوهة بندقية تَنغرِس في ظهره، وعرف أن أي مقاومة لا تعني إلا قتله، أو على الأقل إصابته، فألقى بالبندقية على الأرض، وظل ساكنًا على ظهر جواده بينما الأبقار تدبُّ على الأرض خارجة من الحظيرة، وحولها الرجال يستحثُّونها على الإسراع ...

كانت الحظائر التي يَحرسها «عثمان» في آخر طرفٍ للمراعي الكبيرة ... ولِثِقَة «كاردوفا» به، جعله يحرس أكبر الحظائر وأكثرها بُعدًا، وهكذا لم يكن من المتوقَّع أن تصله نجدة سريعة، وكان عليه أن يتصرَّف وحده ...

كان الرجال جميعًا مُلثَّمين، لا تبدو من وجوههم سوى عيونهم البراقة، وكانوا يتصرَّفون بحزم وبسرعة، مما يدلُّ على أنهم محترفون. وسرعان ما خرجت نحو ثلاثمائة رأس من الأبقار، اقتادها الرجال عبر التلال، وأمروا «عثمان» أن يسير معهم بعد أن ربطوا يديه خلف ظهره ...

كان الظلام ما زال مخيمًا، والرجال يطاردون الأبقار، ليبتعدوا بها أطول مسافة قبل طلوع الشمس، وسرعان ما وصلوا إلى نهر صغير، عبرته الأبقار مسرعة تستحثُّها صيحات الرجال ... وعبر «عثمان» النهر على فرسه حتى إذا ما وصل إلى الشاطئ الآخر، وجد نفسه يغوص في مستنقعٍ مخيفٍ ... وعرف الآن لماذا سلك اللصوص هذا الطريق؛ فقد سمع

أساطير كثيرة تدور حول هذا المستنقع الذي يُسمُّونه «مستنقع الشيطان»، فلم يدخله أحد وخرج منه حيًّا، وهؤلاء الرجال يدخلون إليه الآن حتى يأمنوا ألا يُطاردهم أحد، فلن يَجرُؤ مخلوق على عبور النهر إلى المستنقع إلا إذا كان يعرف الطرق القليلة الآمنة في المستنقَع ... وتذكَّر «عثمان» أن العجوز «فيجو» هو أحد القلائل في هذه الأنحاء الذي يعرف طرقات المستنقع جيدًا ... وأخذ يتأمل الرجال السبعة الذين يقودون الأبقار، على قدر ما سمحت به تباشير الفجر الذي أخذ يبزغ، وكانت مفاجأة كاملة لـ «عثمان» أن يجد «فيجو» على رأسهم؛ فقد كان هو الرجل الذي يسير في المقدمة! ...

كانت المفاجأة أكبر مما يتوقَّع «عثمان»! ... «فيجو» العجوز من لصوص الماشية؟! وتمنى أن تكون قد خدعته عيناه، ولكن الشعر الأبيض الكثيف الذي كان يظهر من تحت القبعة المرتخية الحافة، لم يكن يترك له مجالًا للشك، خاصةً وقد اتضح لون القميص الأحمر المائل إلى السواد، والأكتاف المتدلية ... «فيجو» ... إنه «فيجو» العجوز صديقهم ... كيف يمكن أن يُصدِّق هذا؟!

سارت قافلة اللصوص و«عثمان» مندفعًا رغمًا عنه، حتى أتت اللحظة التي لاحظ فيها أن لا أحد يراقبه ... وكان قد اقترب من تل مرتفع، نبتت عليه غابة صغيرة من البوص والحشائش والأعشاب، فلكز «عثمان» فرسه، فاستدار وأسرع يَجري خلف التل، وسرعان ما اختفى عن العيون ...

الرجل العجوز!

دار «عثمان» حول نصف التل، ثم لكز فرسه فوقف وألقى بنفسه على الأرض، وأخذ يَزحف مسرعًا حتى اختفى خلف كومة من البوص، وجلس قليلًا يسترد أنفاسه اللاهثة، ثم زحف مرة أخرى حتى وصل إلى قمة التل، وأخذ ينظر من خلال البوص على العصابة ... كانوا يقفون في أماكنهم يتبادلون الشتائم، وسمع مِن بعيد ما يقولون، كانوا يتَّهمون بعضهم البعض بالإهمال، مما أدَّى إلى هرب الأسير ... ومن هذا المكان استطاع «عثمان» أن يرى «فيجو»، وأحسَّ بالأسى لأن الرجل العجوز انضم إلى هذه العصابة ... وفجأةً، صاح الزعيم مشيرًا بيده إلى الأمام قائلًا: لن نستطيع أن نجده في هذه المستنقعات، وهو نفسه لن يستطيع الخروج منها حيًّا ... سوف تنهشُه الحيات أو الذئاب ...!

وأحسَّ «عثمان» بقشعريرة تجتاح بدنَه؛ فهو فعلًا في قلب منطقة الحيات الضخمة، وعليه أن ينجو بنفسه سريعًا.

وانطلقَت العصابة بالأبقار، وفجأة، سمع «عثمان» طلقة بندقية، طلقة واحدة، وخُيِّل إليه أنه سمع صوت سقوط جسم على الأرض، ثم أخذت الأصوات تتباعد في مستنقعات الشيطان، حتى تلاشت بعيدًا ...

كانت المشكلة التي يواجهها «عثمان» من نوع جديد ... كان يُريد فقط أن يفك يديه، ثم يحاول العودة سريعًا إلى الحظيرة لإخطار الحرس بما حدث، إذا لم يكونوا قد اكتشفوه بعد، ولم تكن المشكلة صعبة على كل حال ... أخذ ينحدر من فوق التل على مهل، وهو يفكر في سر الطلقة الوحيدة التي سمعها على الجانب الآخر من التلِّ ... وظلَّ ينزل بهدوء حتى لا يتعثر، حتى وصل إلى أسفل التل، وتوقَّف قليلًا؛ فقد خيل إليه أنه يسمع صوتًا يصدر من مكان قريب ... أرهف السمع وتكرَّر الصوت، وعرف فيه صوت إنسان يتأوَّه، وأدهشه أن يوجد إنسان آخر سواه في هذا المكان، وأخذ يتتبَّع مصدر الصوت بأذنيه حتى

استطاع تحديد المكان ... كان الجو باردًا، والسماء ملبَّدة بالغيوم، ولكن خيوط الشمس كانت تخترق السحب، وتضيء المكان بضوء خفيف ... واستطاع «عثمان» أن يرى موطئ قدميه وهو يسير، حتى وصل إلى قرب المجهول المُتألم ... واستطاع بعد لحظات أن يُصبح على بعد أمتار منه، وانحنى، وأخذ يَمشي مُحاذرًا حتى وصل إلى مصدر الصوت، وكم كانت مُفاجأة له أن يجد أن الرجل المجهول لم يكن سوى العجوز «فيجو» ...!

كان «فيجو» ملقًى على الأرض، يحاول الاستناد على جذع شجرة، وقال «عثمان»: سينيور «فيجو»!

والتفت الرجل العجوز وقد بدَت في عينيه نظرة زائغة ... ورأى «عثمان» على الفور أنه مُصاب بطلق ناري في جنبه الأيمن، وأسرع «عثمان» إليه وقال: حاول أن تفكَّ قيودي ...

وأدار «عثمان» ظهره له وأحسَّ بأصابع العجوز الخشنة القوية وهي تفكُّ قيد يدَيه، وفي لحظات كانت يداه طليقتَين ...

انحنى «عثمان» على «فيجو» ومدَّده على ظهره، ثم مزَّق قميصه في منطقة الإصابة، وتحسَّس الجرح بأصابعه، وأدرك على الفور أن الإصابة ليست قاتلة، والمشكلة في النزيف الدموي المستمر، وبسرعة دسَّ منديله في الجرح وقال: لا تخَف أيها العم «فيجو»، لقد انحرفت الرصاصة عن البطن، وسوف تُشفى إذا استطعنا العودة سريعًا ...

قال العجوز: إنهم لن يذهبوا بعيدًا!

عثمان: «من هم؟!»

فيجو: عصابة الماشية ...

عثمان: ألم تكن معهم؟!

فيجو: لقد أجبروني على مصاحبتهم تحت تهديد السلاح ...! كانوا يريدون سرقة ماشية «مارتينز»، واللجوء إلى مكان لا يستطيع مطاردتهم فيه، واختاروا أن يهربوا عن طريق المستنقعات، وهو طريق لا يعرفه أحد إلا أنا ... وهكذا أجبروني أن أذهب معهم، وعندما أرشدتهم إلى الطريق، أطلقوا عليَّ الرصاص حتى يتخلَّصوا منِّي!

عثمان: وهل نستطيع العودة؟

فيجو: نعم ... لي كوخ قديم في هذه الأنحاء، به بعض الأدوات والأطعمة المعلَّبة، ونستطيع أن نلجأ إليه، ويجب أن نُسرع، لأنهم سوف يعودون ...

عثمان: لماذا سيعودون؟!

فيجو: لأنني عندما أحسستُ أنهم سيغدرون بي، دللتهم على طريق مملوء بالمستنقعات والرمال المتحرِّكة ... فإذا لم يسقطوا فيها، فسوف يعودون ...

عثمان: هم إذن الذين أطلقوا عليك الرصاص؟

فيجو: نعم ... عندما ظنُّوا أنهم قد عرفوا الطريق الصحيح، قرَّروا التخلُّص مني، وأطلق أحدهم رصاصة على ظهري، فألقيت بنفسي على الأرض، حتى لا يُكرِّر إطلاق الرصاص ...

عثمان: هل تستطيع الاستدلال على الكوخ الآن؟

ابتسم «فيجو» رغم إصابته وقال: بالطبع ... فقد أقمتُ في هذه المستنقعات أكثر من نصف عمري!

واستند «فيجو» على ذراع «عثمان» ومَضيا ... كانت الأرض زلقة، والسماء ما زالت تتَّشح بالسحاب، والضوء خافتًا، ولكن «فيجو» العجوز كان يَعرف مواطئ قدميه، وسرعان ما شاهد «عثمان» — بين أغصان الأشجار العملاقة — كوخًا صغيرًا مُتهالكًا، أسرعا إليه، ورفع «فيجو» قطعة عريضة من الخشب، ودفع الباب فانفتح ...

أسرع «عثمان» إلى صندوق خشبي أشار إليه «فيجو» ففتحه، فوجده حافلًا بالضمادات وزجاجات الدواء، وسرعان ما كان يقوم بعملية إسعاف سريعة للعجوز، وهي عملية بسيطة، تمرَّن عليها «عثمان» كثيرًا في المقرِّ السري ...

أشعل «عثمان» موقدًا صغيرًا يُدار بالغاز في طرف الكوخ، ووضع عليه آنية الشاي، وأعدَّ بعضًا من الطعام المحفوظ، وبعد أقل من ربع الساعة، كانا يجلسان — عثمان والعجوز — يتناولان إفطارًا شهيًّا، ويتبادلان الأحاديث ... قال «عثمان»: هل أنت متأكد من عودة العصابة؟

فيجو: ليس شرطًا بالطبع ... فربما ابتلعتهم المستنقعات، أو عثروا بالصدفة على طريق يقودُهم إلى الممر الشمالي للمستنقعات، ولكنِّي أعتقد أنهم سيُفضِّلون العودة بدلًا من الهلاك ...

عثمان: ومتى يعودون حسب تقديرِك؟

فيجو: ليس أقل من ثلاث ساعات ... فالطريق الذي دللتُهم عليه طويل، وحافل بالعقبات والفخاخ ...

عثمان: وهل نستطيع العودة مشيًا؟

فيجو: مُستحيل تقريبًا ... فالمسافة طويلة، والطرق عبر المُستنقَعات حافلة بالمخاطر، وليس ثمَّة حلٌّ إلا الحصول على حصان أو أكثر ...

عثمان: إذن فلندعُ الله أن تعود العصابة؛ فقد نتمكَّن من الحصول على حصان منها ... وصمت «عثمان» قليلًا ثم سأل: هل معك سلاح؟

فيجو: لا، ولكن في الكوخ بندقية قديمة، لعلَّها ما زالت صالحة للاستعمال ...

وقام «فيجو» إلى دولاب في جانب الكوخ ففتحَه، وأخرج بندقية قديمة من طراز «لي أنفيلد» الضخم، وأخذ يهزُّها في يدِه مُعجبًا وهو يقول: ما زالت هذه أعظم بندقية اخترعها الإنسان ... إن رصاصتها كالقنبلة!

وناول «فيجو» البندقية إلى «عثمان»، دون أن يتصوَّر لحظة أن «عثمان» هذا من خبراء السلاح، وأنه يعرف كل أنواع الأسلحة الصغيرة التي اخترعها الإنسان ... وأدار «عثمان» ترباس البندقية، وأدرك أنها في حاجة إلى تزْييت خفيف، لتُصبح صالحة للاستعمال تمامًا، فقال لـ «فيجو»: هل عندك زيت وذخيرة لها؟

قال «فيجو»: بالطبع ... إنَّ صياد البراري والمستنقعات لا بد أن يكون مُستعدًّا ...

ومرةً أخرى مدَّ «فيجو» يده في الدولاب وأخرج علبة زيت قديمة، ولفة بها كمية ضخمة من الرصاص.

أسرع «عثمان» يسكب بعض الزيت على ترباس البندقية وأخذ يُديره أمامًا وخلفًا ثم مسح الزيت، وملأها بالرصاص ... كانت بندقية عظيمة فعلًا — كما يعرف «عثمان» — يحمل خزانها إحدى عشرة طلقة. وأحسَّ بالاطمئنان وهي بين يديه ...

تمدَّد «فيجو» في فراش بالٍ بجانب الكوخ، بينما مسح «عثمان» زجاج النافذة، وتطلع إلى الخارج ... كان ضوء الشمس يحاول أن يجد له طريقًا بين الأحراش والأدغال، ولكن كثافة الأشجار جعلت المشهد كأنه وقت غروب مُتأخِّر ... وشاهد «عثمان» شيئًا يتحرَّك بين الأحراش وأمعن النظر إليه بقدر ما يستطيع، وتبيَّن على الفور أنه ثعبان ضخم يتحرك في هدوء، وأحس بقشعريرة تسري في بدنه عندما تصور أنه قد يلتقي بمثل هذا الثعبان في أي لحظة ... وسمع صوتًا خلفه فالتفت، ولدهشته الشديدة وجد العجوز «فيجو» يغطُّ في النوم كأن شيئًا لم يحدث، وكأنهما ليسا في انتظار عصابة الماشية التي قد تقضي عليهما ...

مضى الوقت و«عثمان» يفكر في «هدى»، دون أن يعلم أنها عادت من المقر السري، وفي «أحمد» الذي كان مع «مارتينز» — في هذه اللحظات — يبحث موضوع سرقة الماشية ومعه «قيس»، وفي «إلهام» التي كانت تطوف في الأحراش المحيطة بالكوخ بحثًا عن «فيجو» ...! كان كل واحد من الشياطين الخمسة مشغولًا بعمل ما ... ومضت الدقائق ببطء، وقام «عثمان» بإعداد الشاي مرة أخرى، فقد كان يُحسُّ بالبرد يلسعه في هذا الكوخ الرطب، خاصةً وقد ثقلت أجفانه لأنه لم ينم طول الليل ...

استسلم «عثمان» للنوم رغمًا عنه، ولا يدري كم من الوقت مضى وهو نائم، ولكنه استيقظ على أصوات قريبة. وقفز مرة أخرى إلى النافذة، ونظر بزاوية منها، ورأى ما توقعه

العجوز «فيجو» ... كان بعض أفراد عصابة الماشية يتجمَّعون في مكان قريب بجوار إحدى الأشجار الضخمة، ومعهم عدد من الماشية ...

كان «عثمان» يعرف أن عدد أفراد العصابة سبعة، لكن لم يبقَ منهم إلا ثلاثة فقط، أما الماشية فلم يبقَ منها سوى بضع عشرات كانت تَهيم على وجهها ... وأدرك «عثمان» أنهم ضلُّوا الطريق كما توقع «فيجو»، وذهب منهم أربعة ضحية الرمال المتحرِّكة والحيات المفترسة، ولم يبقَ سوى هؤلاء الثلاثة، وأخذ ذهنُه يعمل بسرعة، فإن إنقاذه وإنقاذ العجوز «فيجو» من هذه المستنقعات لا يتم إلا بالحصول على حصان أو حصانين مما يَركبه هؤلاء الرجال ...

ونظر إلى ساعته، كانت تشير إلى العاشرة صباحًا، ومعنى هذا أن تقدير «فيجو» كان مضبوطًا؛ فهؤلاء الرجال قد ركبوا طوال ثلاث ساعات ركوبًا متصلًا، بالإضافة إلى المسافة التي ركبها معهم وتَزيد على ساعة، وركوب أربع ساعات مُتواصلة ليس مسألة سهلة بالنسبة للراكب وللحصان أيضًا ...

وأخذ «عثمان» يرقبهم ... كانوا يتحدثون ويُشيرون بأيديهم عند نقطة معينة، وعندما تابع بعينه هذه الإشارات شاهد شيئًا جعله يَضرب جبهته بيده. كان حصانه ...! لقد نسي كل شيء عنه بعد أن تركه، وتصوَّر أنه هام على وجهه في الأحراش وذهب ضحية الحيات، ولكنه موجود وهؤلاء الرجال في حديثهم عنه يَعنون شيئًا واحدًا، أن صاحبه قريب وأنهم سيبدءون فورًا في البحث عنه ... وقد صدق استنتاجه، وانتشر الرجال الثلاثة في شكل مروحة مركزها الحصان، وأخذُوا يَقتربون من الكوخ شيئًا فشيئًا ... ووقف «عثمان» مكانه يفكر بسرعة ... ماذا يفعل؟ هل يوقظ «فيجو»، وماذا سيفعل العجوز؟ لا شيء ... إذن فعليه أن يتصرف وحده ...

ماذا يريد «مارتينز»

وقف «عثمان» ينظر عبر النافذة إلى الرجال الثلاثة والأبقار الشاردة، كانوا قد خلعوا أقنعتهم، وكم كانت مفاجأة له عندما دقَّق النظر فيهم أن يتعرَّف على أحد رجال «مارتينز» بينهم، إذن فهناك خيانة ...!

قبل أن يفعل «عثمان» أي شيء سمع صرخة عالية، وشاهد أحد الرجال يُحيط عنقه بذراعيه وقد بدا عليه الاختناق، وشاهد «عثمان» أحد الثعابين الضخمة يتدلى من فرع شجرة وقد أطبق على رقبة الرجل ... وانطلقت رصاصة من أحد الرجال، وهوى الثعبان الضخم. ولكن الرجل الملدوغ ترنَّح وسقط من فوق حصانه، ونزل أحد الرجلين وحمل زميله إلى تلٍّ قريب ...

واستيقظ «فيجو» العجوز على صوت الطلقة، فشرح له «عثمان» ما حدث، فهز «فيجو» رأسه وقال: لا فائدة من محاولة إسعافه، إنه ثعبان «الفايبر» القاتل، أضخم وأغزر ثعابين أمريكا سمًّا ... ولا يُمكن النجاة من لدغته، خاصةً في منطقة الرقبة!

أحس «عثمان» بالبرودة تسري في جسده ... كان الموت بالسم من الأشياء التي يَكرهها بعمق، وتمنَّى أن يخرج من هذه الأدغال سالمًا ... وفجأة ومن فوق التل الذي تمدَّد عليه الرجل المصاب، أشار الرجل الثاني ناحية الكوخ، وقال «عثمان» لـ «فيجو»: لقد اكتشفا مكاننا ...

وتقدم الثالث الذي يركب الحصان ناحية الكوخ وقد أخرج مسدسه، وبهدوء شديد فتح «عثمان» زجاج النافذة، ثم وضع بندقيته على حافة النافذة ... كان يُمكن أن يصيب الرجل بطلقة في القلب، ولكنه لم يكن يُريد أن يقتله، وأحكم التصويب ثم أطلق رصاصة واحدة أطارت المسدس من يد الرجل الذي وقف مذهولًا مكانه وقد بدا الرعب في عينَيه ... فتح «عثمان» النافذة وقفز منها خارجًا، وعينه على الرجل الثاني الواقف فوق التل،

وكان معه كل الحق في هذا الحذر، فقد امتدَّت يد الرجل بسرعة إلى جراب البندقية في سرج الحصان واستعد للإطلاق ... ولكن «عثمان» كان أسرع، وطارت البندقية في الفضاء، وصاح «عثمان» في عنف: لا حركة بعد ذلك!

ثم نادى «عثمان»: «فيجو» ... اخرج الآن واربط الرجلين ...

خرج «فيجو» مُستعدًّا بقطعة حبل، ومشى بخطواته الثقيلة إلى الرجل الأول، وطلب منه النزول من فوق الحصان فأطاعه صاغرًا، فقيَّد يديه خلفه ثم ساعده على الصعود إلى حصانه، وكذلك فعل بالرجل الثاني، ثم انحنى على الرجل الذي لدغه الثعبان، وأشار لـ «عثمان» من بعيد أنه قد انتهى ...

أصبح الموقف على ما يرام ... فقد أسر «عثمان» الرجلين، وأصبح عنده حصانه، وحصان الرجل الذي مات، وفي إمكانه الآن العودة ومعه الدليل العجوز «فيجو» ...

وقرر «عثمان» أن يسير فورًا، وسرعان ما كان اللصان يسيران في المقدمة وخلفهما «فيجو» و«عثمان»، وأخذت الأبقار التي جمعها «عثمان» سريعًا تجري أمامهم ...

كانت الشمس قد بزغت أخيرًا من خلف السحب، وكانت أشعتها تتسلل من بين الأغصان الكثيفة كأنها شلالات من النور ... ومضت القافلة بإرشاد «فيجو» عبر المستنقعات والأحراش الكثيفة نحو ساعة، ثم ظهرت حدود المراعي، وظهر على الفور مجموعة من الرجال يركبون الجياد مقبلين من بعيد. وأطلق «عثمان» طلقة دوت في الفضاء، وسرعان ما كانت المجموعة تتجه إليه ...

بعد دقائق قليلة اتضح أن المجموعة لم تكن سوى «مارتينز» و«كاردوفا»، و«أحمد»، ومعهم مجموعة من المساعدين بينهم «قيس» ... كانوا جميعًا يركبون الجياد، ويحملون الأسلحة، وكان واضحًا أنهم يَبحثون عن عصابة سرقة الماشية ... وعلى حدود المراعي والمستنقعات التقى الجميع، وبدا على وجه «مارتينز» الإعجاب وهو يرى الفتى الأسمر «عثمان» يقود الأسيرَين وقد أعاد ما استطاع من الأبقار ...!

قال «مارتينز»: ماذا حدث؟!

رد «عثمان»: عصابة من لصوص الماشية ... أحدُهم من رجالك!

نظر «مارتينز» إلى «كاردوفا»، الذي قال: مَن هو؟! إنني لا أراه هنا!

عثمان: لقد قام أحد ثعابين «الفايبرز» بمهمَّة القضاء عليه ...

مارتينز: وماذا كان يعمل «فيجو» معهم؟!

عثمان: لقد اختطفوه عنوةً ليكون دليلهم؛ فقد هربوا عن طريق المستنقعات حتى لا يطاردهم أحد ...

مارتينز: وبعد ذلك؟!

عثمان: هربت منهم ... واستطعت إنقاذ «فيجو» الذي أطلقوا عليه رصاصة للخلاص منه، ولكنها لم تقتله ... ثم ساروا في المستنقعات بدونه، ففقدوا أربعة رجال وبعض الأبقار ... وعاد ثلاثة، مات أحدهم كما قلت بلدغة ثعبان، وهذان الرجلان الباقيان قد عدت بهما ...

مارتينز: إنك حارس أكثر من مُمتاز! ومن الآن ستعمل معي داخل القصر ...

تبادل «أحمد» و«عثمان» نظرة سريعة ... ثم تحرَّك الجميع عائدين ... وبمجرد أن وصلوا إلى بوابة القصر، أصدر «مارتينز» أوامره بإعطاء «عثمان» شارة حرس القصر، والسماح له بالمبيت فيه ... وهكذا اختار «عثمان» غرفة مُجاورة لغرفة «أحمد» في القصر ... وفي نفس هذا الوقت كان «قيس» يُسرع مبتعدًا بفرسه إلى حيث التقى «بإلهام» عند حدود مراعي «مارتينز» وأخبرها بكل ما حدث ...

عادت «إلهام» مسرعةً إلى كوخ «فيجو»، ووجدت العجوز قد وصل قبلها بدقائق قليلة، وأسرعت «إلهام» إلى «هدى» وتبادَلا التحيات الحارة ... وبينما كان «فيجو» يغتسل بعد رحلته الشاقة، كانت «هدى» و«إلهام» تتحدثان بسرعة خارج الكوخ ... فأبلغت «هدى» إلى «إلهام» تعليمات «رقم صفر» ... وأخبرتها «إلهام» بالأحداث التي مرَّت منذ سفرها ... وهكذا عاد الشياطين الخمسة ليكونوا في منطقة الأحداث معًا ...

وفي الليل، تسلل «عثمان» إلى كوخ العجوز «فيجو»، حيث التقى بـ «هدى» و«إلهام»، ثم عاد إلى «أحمد» وحمل معه تعليمات «رقم صفر» إلى الشياطين الخمسة. وكانت تتلخَّص في نقطتين:

- الحصول على أكبر قدر من المعلومات عن اتحاد العصابات التي تُحرك أحداث اختطاف العلماء، والهدف منها ...
- إنقاذ العالم المصري «جمال زهران» ...

وقال «أحمد» هامسًا في أذن «عثمان» وهما يجلسان معًا في غرفته: لقد اكتشفتُ خلال الأيام القليلة التي قضيتها هنا، بعض الأشياء ذات الأهمية الخاصة لنا ... إن مطار قصر «مارتينز» هو المحطة الأولى التي يَصل إليها العلماء المُختطَفون ... وباعتباره مطارًا خاصًّا فلا يفتشه أحد، وبعد أن يقضي العالم المخطوف بعض الوقت هنا، تأتي طائرة خاصة لتحمله إلى حيث أعدت العصابة مركزًا علميًّا ليَعمل فيه هؤلاء العلماء ... وكما تعرف

فإن عِملهم ينحصر في إعداد قنابل ذرية صغيرة، يُمكِن حملها بواسطة شخص واحد ... وتفجيرها في أي مكان ...

عثمان: وهل عرفت مكان هذا المركز العلمي؟

أحمد: لا ... ولكن كما يتَّضح من الأدلة والاستنتاجات، فإن هذا المركز يقع في نصف الكرة الجنوبي، وبالطبع ليس هذا تحديدًا ذا قيمة؛ فنصف الكرة الجنوبي قارة بأكملها، مُميتة في معظم مناطقها ... وبالطبع، فإن محاولة البحث عن المركز دون تحديد المكان، تشبه البحث عن حبة من الرمل في قاع المحيط ...

عثمان: هل هناك أيَّة معلومات عن العالم المصري «جمال زهران»؟

ابتسم «أحمد» وهو يردُّ: لقد كان هنا!

بدا الاهتمام على وجه «عثمان» ... وقال: كان هنا؟!

أحمد: نعم؛ بعد يوم واحد من اختطافه ... أي إنه نُقل من السويد مباشرةً إلى هنا، ولا أدري كيف مرَّ بالحدود؛ فهذه مسألة سوف نكشفها فيما بعد ...

عثمان: ولكن كيف عرفتَ أنه كان هنا؟!

أحمد: كنت أتحدث مع الطاهية «ميراندا» عن الطعام الذي تقدمه، وكيف تجيد طهوه، وكانت سعيدة جدًّا بهذا الحديث، وأخذت تُعدِّد لي الشخصيات الهامة التي دخلت هذا القصر وأعجبت بالطعام الذي تُعدُّه ...

عثمان: فهمت!

أحمد: ماذا فهمت؟!

عثمان: لا بد أنها قالت لك عن شخص كان يطلب طعامًا معينًا ...

أحمد: بالضبط، كان يطلب طعامًا ليس به لحم أو شحم الخنزير ... ثم أكثر من هذا، وصفت لي «ميراندا» كيف كان يُصلي، وعرفت على الفور من هذه المعلومات ومن تاريخ الخطف أنه «جمال زهران»، وقد قضى هنا ليلتَين، ثم جاءت الطائرة وحملته بعيدًا ...

عثمان: إن «مارتينز» رجل خطير!

أحمد: جدًّا!

عثمان: الشيء الذي يُحيِّرني، هو لماذا يستغل مثل هذا الشخص عقله العبقري في الإجرام ... إنه ليس فقيرًا لنقول إنه في حاجة إلى المال، إنه مليونير، بل وأكثر من مليونير ...

أحمد: إنها عبادة القوة يا «عثمان» ...! بعض الناس تصبح القوة والسيطرة عندهم هدفًا، أهم من الأموال، وأهم من الملايين، إنه يُريد أن يثبت أنه أقوى رجل في العالم ... وتصور أنت رجلًا يملك القنبلة الذرية، ويتحكَّم في الدول والحكومات!

عثمان: إن هذا جنون!

أحمد: نعم ... إنه نوع من الجنون!

عثمان: وما هي خطتك؟

أحمد: أولًا، أن أعرف مكان المركز العلمي حيث يوجد العلماء ... إن معرفة المكان تعني أننا قطعنا نصف الطريق نحو الهدف ...

كانت الساعة قد اقتربت من منتصف الليل، وأحس «عثمان» برغبة قوية في النوم، فترك «أحمد» وأوى إلى فراشه. وقام «أحمد» يتجوَّل في القصر ... كان ضمن مهامه التأكد من أن كل شيء على ما يرام قبل أن يأوي إلى فراشه.

مشى «أحمد» محاذرًا عبر ردهات القصر الفخم ... كان الجميع نائمين، فلم يكن هناك شيء يدعو إلى تشديد الحراسة بعد انتهاء اجتماع زعماء العصابات ... ودار «أحمد» حول القصرة دورة واسعة ... وعندما كان يمرُّ قرب مكتب «مارتينز» لاحظ أن المكتب مضاء، ولم يكن من عادة «مارتينز» أن يسهر في غرفة مكتبه، إلا إذا كان عنده ضيوف لا يُريد أن يراهم أحد ... ودهش «أحمد» لوجود ضيوف في مثل هذه الساعة المتأخرة، لأنه لم يُخْطَر بوجود هؤلاء الضيوف، رغم أنه هو الحارس الخصوصي الأول للمليونير.

اقترب «أحمد» من النافذة المضاءة ... كانت حافة النافذة مُرتفعة عن الأرض بنحو مترين، ولم تكن هناك مشكلة في الوصول إليها، فقد كانت مباني القصر من النوع القديم الذي تكثر فيه الأفاريز والزوائد الحجرية. ووقف «أحمد» يستجمع قوته ثم قفز وتعلَّق بالإفريز البارز، واعتمد على عضلات ذراعيه القويتين، ورفع جسمه إلى أعلى، ثم انكمش كالقط على الإفريز، وأخذ يرفع رأسه مُحاذرًا، ليرى ضيوف منتصف الليل ...

خزينة بلا مفتاح!

ألقى «أحمد» نظرةً حَذِرة على غرفة «مارتينز». كان المليونير جالسًا إلى مكتبه، وكان «أحمد» يَراه من ظهره، وكان ثمَّة شخص يقف إلى جانب شاشة بيضاء مُعلَّقة على الحائط، ثم اتجه هذا الشخص إلى آلة عرضٍ سينمائية، وأخذ يضع فيها شريطًا، وسرعان ما انطفأ النور ودار شريط سينمائي على الشاشة البيضاء الصغيرة ... وللأسف قام «مارتينز» بإغلاق ستائر النافذة، فلم يَعُد في إمكان «أحمد» أن يرى شيئًا، وأخذ يبحث عن أيِّ ثُقب ينظر منه، حتى عثر على فتحة صغيرة، واستطاع أن يرى جزءًا صغيرًا من الشريط ... وكم كانت مفاجأة له أن يعرف أن هذا الشريط قد التقط في منطقة القطب؛ فقد شاهد الثلوج تُحيط بمبنى ضخم مقام وسط مساحة شاسعة، مسورة بسور من الأسلاك الشائكة ... ولم يشكَّ «أحمد» لحظة واحدة في أن هذا الفيلم يُصوِّر مراحل العمل في المركز الذري الذي أقامه اتحاد العصابات في القطب، وعرف أنه لو استطاع أن يحصل على هذا الفيلم، فمن المؤكد أن الشياطين سيتمكَّنون من تحديد مكان هذا المركز في الأصقاع الجنوبية ...

استمر عرض الفيلم نحو عشرين دقيقة، ولكن «أحمد» لم يستطع أن يرى شيئًا ذا قيمة ... وأضيئت الأنوار، واستطاع أن يرى حركة «مارتينز» في الغرفة، ولاحظ أنه اتجه ناحية الخزينة الضخمة التي يضع فيها كل مستنداته الهامة، وأدرك أنه وضع الفيلم فيها ...

قفز «أحمد» من أفريز النافذة سريعًا، ثم دار حول القصر مُبتعِدًا عن غرفة مكتب «مارتينز» وسرعان ما كان يدخل غرفته، وقد قرَّر أن يستولي على الفيلم مهما كانت العقبات، وسرعان ما استلقى على فراشه، وذهب في سبات عميق.

في صباح اليوم التالي استيقظ «عثمان» مبكرًا، وانتظر فترةً تَناول فيها إفطاره ثم ذهب لإيقاظ «أحمد»، وكم كانت دهشتُه ألا يجده في فراشه، فاتجه سريعًا إلى غرفة «كاردوفا»

... كان ثمَّة اجتماع معقود لتشديد الحراسة بعد سرقة الماشية، وكان الاجتماع يضمُّ كل الحراس العاملين في مراعي «مارتينز»، وجلس «عثمان» جانبًا يستمع إلى الحديث الدائر، بينما كان «أحمد» يجلس في المقدمة، وتبادلا معًا النظرات ... كان واضحًا أن «أحمد» مُهتمٌّ جدًّا بنظام الحراسة الذي يُناقَش، فمن خلال الثغرات الخافية عليهم سوف يتمكَّنون من تنفيذ ما يشاءون من خطط ... وبعد أن انتهى الاجتماع، خرج الجميع، وسار «أحمد» و«عثمان» معًا في الحديقة، وفي كلمات سريعة تحدث «أحمد» عن الفيلم الذي شاهده ليلًا، والخزينة التي وُضع فيها، وضرورة الحصول على هذا الفيلم لمعرفة مكان المركز الذري.

قال «عثمان»: أي نوع من الخزائن هي؟

أحمد: إنها خزينة من نوع حديث. ولكني لم أدرسها بعد ...

عثمان: تعرف أن «إلهام» تستطيع معالجتها؛ فضمن تخصصات «إلهام» فتح الخزائن.

أحمد: أعرف هذا، ولكن المشكلة كيف تدخل القصر؟!

عثمان: بما أنك حارس خاص لـ «مارتينز»، وأنا من حراس القصر، ففي إمكاننا تدبير وسيلة لدخول «إلهام» ...

أحمد: هذا ما كنت أفكر فيه ... ولكن ذلك سيتم بعد أن أدرس الخزينة جيدًا، وما دمتَ ستَعمل معنا داخل القصر؛ فسوف تقوم الليلة بمحاولة إبعاد «مارتينز» عن غرفة المكتب ...

عثمان: ولماذا أنت مُتعجِّل هكذا؟!

أحمد: لا أدري لماذا يحدثني قلبي أنهم سيَكتشفُون حقيقتنا قريبًا، فلا تنس أن زيارة زعيم «الورلد ماسترز» ورؤيته لنا هنا لن تمر ببساطة ... إنني في انتظار مفاجأة قاسية، لهذا يجب أن نتصرف بسرعة ...

وافترق الزميلان ... مضى «عثمان» يتجول في القصر ومضى «أحمد» إلى غرفة المكتب ... كانت مهمته الرئيسية حراسة «مارتينز»، وكان «مارتينز» يحب البقاء طويلًا في مكتبه الذي يشبه القلعة الحصينة.

بعد نحو نصف ساعة خرج «مارتينز»، وابتسم «لأحمد» عندما وجده يجلس قريبًا من باب المكتب، وقال له: سأتغيَّب الليلة عن القصر بعض الوقت. لا تترك باب المكتب يغيب عن عينَيك ...

أحنى «أحمد» رأسه علامة الإيجاب، وهو يُخفي ابتسامة تلاعبَت على شفتيه، فهم ليسوا في حاجة إلى إبعاد «مارتينز»؛ فلقد أبعد نفسه في الوقت المناسب ...

عندما هبط الظلام في ذلك اليوم، وقف «أحمد» يَرقُب «مارتينز» وهو يركب سيارته من طراز «رولزرويس» الفضية، ثم ينطلق به السائق ... وانتظر «أحمد» فترة من الوقت، ثم ذهب إلى مكان «عثمان» وأخبره بخروج «مارتينز»، وقال له: ستقف أنت لتراقب الباب، وسأدخل لفحص الخزينة ...

لم يكن شيئًا غريبًا أن يدخل «أحمد» مكتب «مارتينز»؛ فقد كان جزءًا من عمله أن يراقب كل شيء في القصر، وهكذا لم تمض ساعة على خروج المليونير حتى كان «أحمد» يدخل غرفة المكتب، ويتجه رأسًا إلى الخزينة ...

أخرج من جيبه قفازًا من المطاط الخفيف وأخذ يتحسَّس الخزينة ... كانت طرازًا نادرًا من الخزائن، وقدَّر «أحمد» أن أية وسيلة لاقتحامها هي في حكم المستحيل، ولكن القرار في النهاية سيكون لـ «إلهام» ... وأخرج ورقة وقلمًا، ورسم رسمًا تخطيطيًّا للخزينة وتقديرًا لسمك الحوائط، وكل المعلومات التي تُهمُّ «إلهام»، وقضى في هذه المهمة نحو نصف ساعة دون أن يعكر عليه أحد خلوته، ثم خرج فوجد «عثمان» يتمشى في الحديقة الداخلية للقصر، ومنها يُمكن مراقبة باب غرفة المكتب ...

انضمَّ «أحمد» إلى «عثمان»، وقال «عثمان»: لا أظن أن هناك ما يدعو لبقائنا داخل القصر، تعالَ نتمشَّ حوله ...

أحمد: إنني أفكر في أن نأخُذ حصانين ونذهب لزيارة «إلهام» و«هدى» ...

عثمان: في هذا الوقت؟!

أحمد: اطمئن إنَّ «مارتينز» لن يعود قبل منتصف الليل ... وليس من الغريب — حتى لو شاهدنا أي شخص — أن نذهب لزيارة «فيجو» العجوز بعد حوادث المستنقَعات، وفي نفس الوقت أتحدث مع «إلهام» عن الخزينة، ونُدبِّر طريقة لدخولها القصر ...

توجَّها إلى إصطبلات القصر، واختارا جوادين أسودين ثم انطلقا عبر المراعي ... كانت السماء ملبدة بالغيوم، والقمر يظهر للحظات ثم يختفي، والريح هادئة ثقيلة تنذر بمطر قريب ...

وعندما اقترب «أحمد» و«عثمان» من كوخ «فيجو»، شاهدا النيران المشتعلة أمامه، وحولها جلس «فيجو» و«إلهام» و«هدى» وقد وضعوا لحمًا للشواء، تصاعدت رائحته، وكانت «هدى» تعزف لحنًا شجيًّا على «الجيتار» ...

كان مشهدًا رومانسيًّا حالمًا كالذي يرونه في السينما، فقال «عثمان» وهو يجذب لجام الحصان حتى لا يتقدم: إنه مشهد لا يُنسى!

أحمد: لقد أحسستُ بالجوع وأنا أرى اللحم، وأشم رائحته!

عثمان: إنهم لم يسمعوا صوت الجوادين ... صوت الجيتار غطَّى على صوت الحوافر!

وقد كانت المفاجأة كاملة حقًّا لـ «إلهام» و«هدى» و«فيجو» عندما وجدوا الشابين يقفان أمام النيران ... وكان لقاءً مؤثرًا بين الشياطين الأربعة، وجلسوا جميعًا حول النيران، وسرعان ما كان «فيجو» يخرج خنجره ويبدأ في تقطيع اللحم المشوي، ثم يقدم لكل من الشبان قطعة ساخنة تَقطر دسمًا ...

استمر العشاء والحديث نحو ساعة، ثم طلب «أحمد» من «إلهام» أن ينتحيا جانبًا لحديث خاص، واختارا داخل الكوخ حتى لا يسمعهما «فيجو»، وأخرج «أحمد» رسم الخزينة من جيبه، ووضعه أمام «إلهام»، وأخذ يُحدِّثها عن مكان الخزينة، وتفاصيلها ... وابتسمت «إلهام» وقالت: هذه خزينة لا يُمكن فتحها ...!

بدت علامات الذهول على وجه «أحمد»، وقال: غير معقول يا «إلهام»!

إلهام: ألم تلاحظ أنه ليس هناك فتحة واحدة في الباب يُمكن أن تكون سبيلًا إلى فتحها؟!

أحمد: نعم، لاحظت ... ولكن ألا يفتح هذا النوع من الخزائن بالأرقام؟!

إلهام: هذا صحيح. والمشكلة ليست في عملية معرفة الأرقام فقط رغم صعوبتها، ولكن في توقيت الفتح والإغلاق ...

أحمد: لا أفهم ماذا تقصدين؟

إلهام: هذا النوع من الخزائن لا يفتح إلا في مواعيد معينة، يحددها صاحب الخزينة، ولا يُمكِن فتحها في مواعيد أخرى ...!

أحمد: حتى صاحبها؟!

إلهام: حتى صاحبها ... فمثلًا، إذا ضبط ساعة الفتح على الثامنة والواحدة والثالثة، فإنه لا يستطيع أن يفتحها في غير هذه الساعات الثلاث، ولو حاول أن يفتحها في العاشرة أو الثانية مثلًا لما انفتحت!

أحمد: هل يعني هذا أننا لن نحصل على الفيلم؟!

إلهام: لم أقل هذا ... ولكننا في حاجة إلى تخطيط دقيق، فأمامنا ثلاث مشكلات؛ المشكلة الأولى هي معرفة أرقام فتح الخزينة، ومعي جهاز إلكتروني صغير يمكن أن يحدد هذه الأرقام ... والثانية مشكلة الوقت الذي تفتح فيه الخزينة، ومن الممكن وضع جهاز خاص وضبط هذا التوقيت إذا فتح «مارتينز» الخزينة في فترة وضع الجهاز، والمشكلة الثالثة هي كيفية دخولي القصر، وإتاحة الفرصة لي للقيام بالمحاولة.

فكر «أحمد» لحظات ... لقد اكتشَف أن العملية ليسَت سهلة، ولكن لم يكن هناك بديل، فقال لـ «إلهام»: أين الجهاز الإلكتروني؟

إلهام: في الفندق ضمن حاجياتنا هناك ...

أحمد: أرجو أن تحضريه غدًا صباحًا، وأحضري معك بعض الأسلحة ... إن الحصول على الفيلم سوف تتبعه معركة عنيفة، إذا شكَّ «مارتينز» فينا ...

إلهام: ومتى تتوقع أن يَحدُث هذا؟

أحمد: ذلك يتوقف على حركة «مارتينز» ... إنه يحب غرفة مكتبه، ويقضي أغلب الوقت فيها، ولا يمكن دخولها طالما هو في القصر ... كوني على استعدادٍ، وسوف أرسل لك «عثمان» ...

تمنَّت له «إلهام» التوفيق في مهمته القادمة، ثم خرجا إلى حيث الشواء والأصدقاء، وكان صوت الجيتار الشجي يملأ الليل الهادئ بالموسيقى، وفجأة حدث ما لم يكن في الحسبان ... سمعوا صوت جواد يقترب، ثم ظهر شبح فارس أسود من بعيد ... وأشار «أحمد» إلى «هدى» فتوقفت عن العزف وأخذ الشبح يقترب، وكانت المفاجأة طيبة، فلم يكن القادم سوى «قيس»، الذي أخذ يقبل مسرعًا حتى وصل إليهم ... ونظر إليه «أحمد» متوجسًا فقد بدت على وجهه علامات التوتر، وقال «أحمد»: ماذا حدث؟

لص في قصر المليونير!

كان حضور «قيس» المفاجئ، ومظهره المُضطرِب باعثًا على القلق ... ووقف «أحمد» ونزل قيس من على الحصان، وأسرعت «إلهام» تقدم له شريحة من اللحم الساخن ... وقال «قيس» وهو يقضم قطعة اللحم باستمتاع: إنهم يبحثون عنك أنت و«عثمان» في القصر!

أحمد: لماذا؟!

قيس: يقولون إن ثمة محاولة لسرقة شيء من خزينة «مارتينز» قد حدثت ...

صاح «أحمد» بضيق: غير معقول! كيف؟!

قيس: ولكن اللص لم ينجح في فتح الخزينة الحصينة، وقد اتصلوا بـ «مارتينز» في المدينة وسيأتي بعد ساعة.

قفز «أحمد» إلى حصانه وكذلك فعل «عثمان». وقال «أحمد» لـ «إلهام»: لا تنسي الجهاز الصغير ... دبري مع «قيس» كيف يصلني غدًا ... إن الحوادث تسبقنا!

واختفى «أحمد» و«عثمان» في الظلام. وجلس «قيس» مع «إلهام» و«هدى» و«فيجو» العجوز، صامتين يأكُلون اللحم، بينما كان حديث «أحمد» و«عثمان» وهما يشقَّان الظلام في طريقهما إلى القصر، يدور حول حادث السرقة الذي لم يتمَّ ...

قال «عثمان»: يبدو أن لـ «مارتينز» أعداءً كثيرين!

أحمد: بالطبع ... إن المشروع الذي يحاول تحقيقه، لم يسبق له مثيل ... تصور قنابل ذرية صغيرة يُمكن حملها والتهديد بتفجيرها في أيِّ مكان؟! إنك لا تحاول سرقة بنك أو شركة، بل في إمكانك تهديد دولة بأسرها!

عثمان: ومن تتوقَّع أن يكون السارق؟

أحمد: لا بد أنه في مركز قريب من «مارتينز» ...

عثمان: لماذا؟!

أحمد: لأنني أعتقد أنه مثلنا، يُحاول سرقة الفيلم الذي يُصوِّر مركز الأبحاث الذرية في القطب. فهذا بالتأكيد أهم شيء في قصر «مارتينز» ... ولو كان لصًّا عاديًّا يريد سرقة بعض المجوهرات أو الأموال، لحاول في مكان آخر ... إن قصر «مارتينز» قلعة حصينة، فإذا صح استنتاجي، من أنه جاء لسرقة الفيلم فلا بد أنه من داخل القصر، أو له صديق داخل القصر ... فالفيلم قد وصل أمس فقط، ولا أحد يعلم بذلك إلا «مارتينز» وأنا!

عثمان: هل تشكُّ في شخص معين؟

أحمد: هناك شخص واحد يُمكنه أن يعرف بوصول الفيلم ...

عثمان: «كاردوفا»؟!

أحمد: بالضبط ...

عثمان: ولكن كيف اكتشفوا اللص إذن؟!

أحمد: لا أدري! ولا بد أنه حدث بالصدفة ...

وصل الصديقان إلى القصر ... أسرعا بترك الجوادين في الإسطبل، ثم دخلا ... كان الدهليز الواقع أمام مكتب «مارتينز» مُضاءً، وقد وقف فيه خمسة أشخاص ... أحد الخدم وثلاثة من الحراس، و«كاردوفا»، ولم يَكد «كاردوفا» يرى «أحمد» و«عثمان» حتى صاح: أين كنتما؟!

أحمد: لقد ذهبنا في نزهة سريعة، للقاء أصدقائنا عند كشك «فيجو» ...

كاردوفا: وتركتُما القصر تحت رحمة اللصوص؟!

أحمد: ماذا حدث؟!

كاردوفا: أحد اللصوص دخل مكتب «مارتينز» لسرقة الخزينة ...

أحمد: وهل سرق شيئًا؟

كاردوفا: لا ...

أحمد: وأين هو؟

كاردوفا: لقد هرب من النافذة ... فقد دخل أحد الخدم بالصدفة إلى المكتب فرآه ...

أحمد: ألم يُطارده أحد؟!

كاردوفا: لقد اختفى قبل أن أعلم، وأنت المسئول ... لو كنتَ موجودًا لما حدث شيء من هذا!

أحنى «أحمد» رأسه ... كانت هذه حقيقة لا تَقبل الجدل، واتجه إلى باب المكتب، ولكن «كاردوفا» صاح به: لا تدخل ... طلب «مارتينز» ألا يدخل أحد حتى يصل ...

مضت فترة ... ثم سمعوا جميعًا صوت سيارة «مارتينز» تقف بباب القصر، وبعد لحظات دخل المليونير، وكان وجهه هادئًا وإن كان شاحبًا، واتجه إلى باب غرفة المكتب دون أن يُلقي نظرة واحدة على الواقفين، ثم خرج بعد لحظات، وكان وجهه مُتوردًا وقد لمعت في عينيه نظرة ساخرة ... قال «كاردوفا» في لهجة اعتذار وخوف: لا أدري يا سنيور كيف ترك الحارس مكانه دون أن يُخبرني!

كان يشير إلى «أحمد» ... فقال «أحمد»: إنني مخطئ ... وعلى استعداد لتقديم استقالتي فورًا!

مطَّ «مارتينز» شفتيه في امتعاض وقال: في الأغلب لم يُسرَق شيء منها. وسوف أتأكد على كل حال بعد ساعات ...

لم يَلتفِت أحدٌ إلى ما قاله «مارتينز»، إلا «أحمد» ... لقد كان يعرف كما قالت له «إلهام» أن هذا النوع من الخزائن لا يَفتح إلا في ساعة معينة، حتى صاحبها لا يستطيع فتحها إلا في الموعد الذي ضُبطت عليه ...

تحرك «مارتينز» مبتعدًا دون أن يتحدث إلى أحد، واتجه إلى غرفته ... كانت الساعة قد اقتربت من منتصف الليل، فانصرف الجميع ... وعندما اختلى «أحمد» و«عثمان»، قال «أحمد»: هذه السرقة ستُقدم لنا مساعدة قيمة ...

عثمان: كيف؟!

أحمد: إنَّ هذا النوع من الخزائن كما قالت لي «إلهام» لا يفتح إلا في الساعة التي سبق تحديدها لفتحه، وسوف يأتي «مارتينز» للتأكد في الساعة المحددة ...

عثمان: إذا كان الأمر كذلك، فمعنى ذلك أن الخزينة لم تسرق، فلماذا يعود «مارتينز» للتأكد؟!

أحمد: لأنَّ الفيلم خطير جدًّا، ويُمكن لمن يحصل عليه أن يُحطِّم «مارتينز» والمشتركين معه ... ولهذا فإن «مارتينز» لا بد أن يزداد تأكدًا ...

عثمان: ما هي خطتك؟

أحمد: ببساطة سوف نتبادل السهر حتى نسمع «مارتينز» وهو ذاهب إلى غرفة المكتب، ستكون هذه هي الساعة التي تفتح فيها الخزينة، وسوف يُوفِّر علينا هذا يومين كاملين ... يومًا لنضع فيه جهاز تسجيل الوقت تحت الخزينة، ويومًا لفتحها.

عثمان: سأنام أنا أولًا ...

أحمد: من الأفضل أن أنام أنا أولًا؛ ففي الأغلب سيكون موعد فتح الخزينة في ساعة مبكِّرة من الصباح، وأُفضِّل أن أكون مستيقظًا في هذا الوقت ...

أوى «أحمد» إلى فراشه، وبقي «عثمان» ساهرًا ... ومضى الوقت بطيئًا، وكان «عثمان» يرهف أذنيه لعله يسمع وقع خطوات «مارتينز»، ولكن القصر ظل هادئًا طوال الليل، حتى بدأ الفجر يتسلَّل عبر الردهات، فأيقظ «عثمان» «أحمد» الذي قام نشيطًا، فاغتسل، وأعد لنفسه كوبًا من الشاي ثم جلس للمراقبة ... وقد صدق ظنه، ففي الساعة الخامسة صباحًا سمع صوت خطوات «مارتينز» تتسلَّل عبر الدهليز. وفتح «أحمد» بابه فتحة بسيطة، وشاهد المليونير وهو يدخل غرفة المكتب ...

ما كاد «مارتينز» يغلق باب المكتب عليه حتى أسرع «أحمد» يَجري إلى الباب ... نظر حوله فلم يجد أحدًا قد استيقظ بعد، فوضع أذنه على الباب وسمع صوت باب الخزينة وهو يفتح، فعاد مسرعًا إلى غرفته، وتمدَّد على الفراش.

في الثامنة صباحًا بدأ التحقيق في حادث محاولة سرقة الخزينة ... كان «مارتينز» قد طلب جميع الحراس في غرفة «كاردوفا»، ثم وجه لهم الحديث قائلًا: لقد وقعت حادثتا سرقة في أقل من ٤٨ ساعة ... أولًا سرقة الماشية ... ثانيًا محاولة سرقة خزينتي الخاصة، وفي المرتين لم يحدث شيء ذو قيمة. ولكن الخطير في المسألة أنَّكم لا تقومون بواجبكم ...

كانت أنظار «أحمد» مركَّزة على «كاردوفا» الذي بدا مُتوتِّرًا، فقد كان هو رئيس الحراس، وأي تقصير هو في النهاية مسئوليته الخاصة ... كان «أحمد» يشكُّ في أن «كاردوفا» مشترك في محاولة السطو على الخزينة؛ فهو مُجرِم مُحترِف يبيع نفسه لمن يدفع أكثر، ولا بد أن عصابة معادية لـ «مارتينز» قد اشترته، وطلبت منه أن يَسرِق الفيلم. وربما كانت هذه العصابة من العصابات المشتركة في عملية المركز الذري، ولكنها تريد أن تَنفرِد بالعمل وحدها ...

كانت هناك عشرات الاحتمالات، ولكن المهم في نظر «أحمد»، كان الحصول على الفيلم سريعًا حتى لا يَنكشِف أمرهم ... وقد صحَّ ما توقعه عندما قال «كاردوفا»: إن سرقة الماشية، ثم محاولة سرقة الخزينة حدثَتا بعد التحاق الحُراس الجدد عندنا ...

كان يوجه حديثه لـ «مارتينز»، مُحاوِلًا إثارة شكوكه في «أحمد» و«عثمان» و«قيس» ... وكان معه كل الحق؛ فسرقة الماشية تمَّت أثناء حراسة «عثمان». ومحاولة سرقة الخزينة تمَّت أثناء حراسة «أحمد» ...

رد «أحمد»: ولكن يا سنيور «كاردوفا»، لقد كاد «عثمان» يَدفع حياته ثمنًا لعملية السطو ... وأنا كنتُ في رحلة سريعة إلى كوخ «فيجو»، ومن الممكن سؤاله، فماذا تقصد بهذا التلميح إلينا ... هل تتَّهمنا بالتقصير، أم تتَّهمنا بالمشاركة؟

رد «كاردوفا» بحدة: إنني لا أتَّهم أحدًا، ولكني أضع الحقائق أمام السنيور «مارتينز»، وله أن يختار منها ما يحلو له ...

أحمد: على كل حالٍ سأقُوم بالتحقيق في حادث محاولة سرقة الخزينة. وسوف تَكشِف الحقائق عمن يكون المتهم فيها ...

صاح «كاردوفا» غاضبًا: ماذا تقصد؟!

وقبل أن يردَّ «أحمد»، رفع «مارتينز» يده وقال: لا أريد مهاترات بينكما ... المهم الآن هو أني لا أريد أن أسمع عن محاولة أخرى للسرقة، دون أن تُمسِكُوا باللص، وإلا فإنني لن أتردَّد في طردكم جميعًا، وسأجد حراسًا أفضل منكم ...

وقام «مارتينز» فانفض الاجتماع، وتبادل «أحمد» و«كاردوفا» نظرات العداء والتحدِّي ... وعندما خلا الجو، جلس «أحمد» و«عثمان» في جانب من الحديقة الكبيرة، وقال «أحمد»: الليلة، لا بد أن تدخل «إلهام» إلى القصر ... إنَّ الأمور لا تسير في طريقها الطبيعي، وأخشى أن ينكشف أمرنا ...

عثمان: وكيف ستدخل «إلهام»؟!

أحمد: سوف ترسل «إلهام» مع «قيس» الجهاز الإلكتروني الذي يكشف عن موعد فتح الخزينة، وقد عرفنا الآن متى تفتح ... إنها تفتح مرتين، مرة قرب منتصف الليل كما رأيت أنا ... ومرة في الخامسة صباحًا ... وبما أنني لست متأكد من الموعد الأول بالضبط، إلا أن الموعد الثاني مؤكد، لهذا فإنني أريدك أن تَخرُج الآن ... اذهب إلى «قيس»، واطلب منه أن يذهب سريعًا إلى «إلهام»، ويطلب منها الاستعداد لتكون جاهزة لدخول القصر في الساعة الرابعة وخمسة وأربعين دقيقة، وعليها أن تقف عند الشجرة الثالثة المُجاوِرة للباب الخلفي للقصر، وعليها أن تطلق صيحة الخفاش وستكون أنت هناك، وستقودُها إلى غرفتي، وسأترك النافذة مفتوحة لتدخُلا منها ... والباقي سنُرتِّبه معًا ...

عثمان: سأذهب الآن ...

أحمد: قل لـ «قيس» إن على «إلهام» أن تُحضِر جميع مهمات فتح الخزينة، وأن تحضر معها من المدينة فيلمًا «خامًا» ليس مُصوَّرًا، وسنضعه مكان الفيلم، حتى إذا ما فتح «مارتينز» الخزينة في أي وقت ووجد الفيلم مكانه اطمأنَّ. وأظن أنه لن يخرجه للتأكد ...

وأسرع «عثمان» خارجًا. وبقي «أحمد» في القصر يُفكِّر في الخطوات القادمة الخطيرة ...

رسول في الفجر!

في الساعة الرابعة وخمسة وأربعين دقيقة صباحًا، كانت «إلهام» تقف عند الشجرة التي حددها «أحمد»، وأطلقت صيحة الخفاش، وسرعان ما كان «عثمان» يُساعدها على اجتياز السور، وكانت تحمل حقيبة صغيرة بها الأجهزة التي تحتاجها ... وسارا بين الأشجار الكثيفة التي تُغطي الحديقة حتى وصلا إلى نافذة غرفة «أحمد» وكان في انتظارهما، وفي لحظات دخلا، وأغلق «أحمد» النافذة ...

جلس الثلاثة لحظات، كانوا يتبادلون أثناءها نظرات صامتة ... لقد اشتركوا في كثير من المعارك، وتزامَلُوا في عشرات المغامرات، ولكن هذه هي أول مرة يكونون فيها على هذا البعد السحيق من أرض الوطن. ولو انكشفَ أمرهم لما لقوا أية رحمة من «مارتينز» ورجاله.

خرج «أحمد» إلى الدهليز الذي تَقع فيه غرفته، وفي نهايته تقع غرفة المكتب ... كان كل شيء هادئًا ولا أثر لمخلوق، فقد كان هو شخصيًّا المسئول عن الحراسة في هذا المكان ... وهكذا سار حتى باب المكتب وترك «إلهام» و«عثمان»، ثم أطل «عثمان» من الباب فأشار له «أحمد»، وسرعان ما كانت «إلهام» تتسلَّل إلى باب غرفة المكتب ... كانت مُغلَقة ... ولكن «إلهام» أخرجت أداة رفيعة دسَّتها في القفل، ولم تمضِ لحظات حتى كانت تدفع الباب وتدخل ...

دخل «أحمد» معها وأشار إلى مكان الخزينة ثم همس: هل تحتاجين إلى مساعدة؟

ردَّت «إلهام» في ثبات: مُطلَقًا ...

خرج «أحمد» دون كلمة أخرى. ومشى بعيدًا حتى نهاية الدهليز المظلم ووقف يُراقب ... نظرت «إلهام» إلى ساعتها، وأخذت تعدُّ الدقائق، ثم الثواني حتى إذا أصبحت الساعة الخامسة تمامًا، وضعت الجهاز الإلكتروني على الدائرة الخضراء التي تُحدِّد مكان القفل،

ثم أخذت تدير أصابع الجهاز الصغير لتسجل عن طريقه أرقام الفتح، وعدد الدورات واتجاهها، ثم أخذت تدير الدائرة يمينًا ويسارًا ... وسرعان ما أخذت الأرقام تظهر تباعًا على مؤشر الجهاز الصغير ... ٧، ٨، ١، ٣، ٩، ثم بدأت الدوائر تظهر، ثلاث درجات يمينًا ... وثلاث درجات يسارًا ... خمس درجات يمينًا ... واحدة يسارًا ... وكالسِّحر انفتح باب الخزينة الضخمة!

ألقت «إلهام» نظرة عليها، وهالها ما فيها من كنوز المجوهرات والنقود والأسلحة النادرة، ولكن همها الوحيد كان في علبة شرائط سينما وضعت أسفل الأدراج وأمسكتها وبسرعة أخرجت الشريط الخطير ووضعت مكانه الشريط الذي أحضرته، وأعادت إغلاق الخزينة وقلبها يقفز بين ضلوعها فرحًا، لقد أنجزَت المهمة الشاقة ... وفجأة تسمرت في مكانها ... لقد سمعت صوت سيارة مقبلة ناحية القصر، وسمعت الأبواب الخارجية تُفتح، فأسرعت لتغادر الغرفة فوقفت بجوار الباب لحظات تتسمع، فسمعت صوت أبواب السيارة تفتح ثم تغلق ... وفتحت الباب ونظرت إلى الدهليز كان «عثمان» يقف أمام غرفة «أحمد» ويشير لها، فأسرعت إليه، ودخلت غرفة أحمد ثم أغلق الباب!

ونظر «عثمان» من نافذة الغرفة، كان ثمة شخص يتحدث إلى «أحمد» بانفعال ظاهر، كان يقول: قلت لك أريد مقابلة «مارتينز»!

أحمد: وقلت لك إنني أريد أن أعرف لماذا تريد مقابلته؟!

الرجل: لن أقول لك!

لاحظ «عثمان» أن «أحمد» يتحدَّث إلى الرجل وهو يختلس النظر إلى نافذة غرفته، وفهم على الفور أنه يُعطِّل الرجل حتى تنتهي «إلهام» من مهمتها، فرفع أصابعه بعلامة «٧» ومعناها النصر ... وسرعان ما قال «أحمد» للرجل: هل تستطيع أن تَنتظِر حتى يستيقظ «مارتينز»؟

الرجل: التعليمات لديَّ هي أن أبلغه الرسالة في أسرع وقت حتى وإن أيقظته من النوم ... الرسالة مهمة جدًّا وتتعلَّق بخيانة يتعرض لها «مارتينز» ...

لم يكد «أحمد» يسمع هذه الجملة، حتى أدرك أن الرسالة خاصة به أو بـ «كاردوفا»، وتذكر زعيم «الورلد ماسترز» عندما قال له إنَّني رأيتك من قبل ... لقد كان لـ «أحمد» صورة عند هذه العصابة الضخمة، ولعلَّ زعيم «الورلد ماسترز» عندما عاد إلى مقر العصابة راجع الصور لديه فتذكَّره.

أشار «أحمد» إلى «عثمان» إشارة فهمَ منها كل شيء ... كان المطلوب التخلص من الرجل فورًا، وهكذا قفز «عثمان» من النافذة وسار كالقط على الحشائش ... وكان «أحمد»

والرجل يقتربان من القصر، وفجأة أطلق «عثمان» كرته الجهنمية فأصابت الرجل في رأسه إصابةً مُباشِرة، وترنَّح الرجل وسقط على الأرض بلا حراك وأسرع «أحمد» و«عثمان» يَحملانه، ثم يضعانه بين الأعشاب الكثيفة ... وانهمك «أحمد» في تفتيش الرجل وسرعان ما عثر في جيوبه على مظروف مستطيل موجه إلى «مارتينز» ومكتوب عليه: لا يُفتح إلا بمعرفة السنيور «مارتينز» ...

فتح «أحمد» المظروف، ووجد ما كان يخشاه، صورة له ومعها مذكِّرة صغيرة:

إلى السنيور «مارتينز»، من «و.م»

إن الشاب الذي ألحقته بحراستك يَنتمي إلى منظمة خطيرة تُدعى «منظمة الشياطين الـ ١٣» ... إن مهمة هؤلاء هي مكافحة الجريمة في كل مكان، خاصةً في العالم العربي. إنه شابٌّ خطيرٌ خاض معارك متعدِّدة فاز فيها هو وزملاؤه ... اقبض عليه فورًا وسوف نصل اليوم للتحقيق معه ... إذا استطعت القبض عليه فسنضرب عصفورين بحجر؛ إنقاذ المشروع الذري، والقضاء على الشياطين الـ «١٣» «خذ حذرك منه فإنه شديد البراعة».

عن «الواو»، «ميم»
ج. جاكوب

قال «أحمد» هامسًا: لقد انكشفت ... يجب أن نَهرُب فورًا!

ثم مال مرة أخرى على الرجل الممدَّد على الأرض، وجرده من أوراقه، ومفاتيح السيارة التي جاء بها. ثم قال لـ «عثمان»: أحضر «إلهام» وهيا إلى السيارة ...

تحرَّك الثلاثة كالأشباح، وفجأة ظهر شبح رابع ... وانزوى «أحمد» جانبًا وشاهد «كاردوفا» يحمل مسدسًا ويتَّجه ناحية غرفة المكتب ... ولم يتردَّد «أحمد» ترك «كاردوفا» يمر حتى وصَل إلى جواره تمامًا، ثم طوَّح قدمه في ضربة صاعقة أصابت بطن «كاردوفا» فسقط على الأرض، ووقع المسدس من يده، وارتطمَ رأسه بحائط الدهليز، وتمدَّد مغشيًّا عليه ... ولكن شبحًا خامسًا ظهر ... كان أحد حراس «مارتينز» الشبان، وهو قويٌّ كالثور، وكان قريبًا من «عثمان» الذي تقدَّم في الظلام بسمرته الداكنة حتى أصبح جزءًا من الظلام لا يرى ... ثم ظهر فجأةً أمام الشاب الذي ارتبك وقبل أن يُفيق من ربكته عاجله «عثمان» بثلاث لكمات قوية ... ثم حمله قبل أن يسقط على الأرض ووضعه جانبًا.

وصل الثلاثة إلى السيارة، وكانت من طراز «فورد نوفا»، السريع، وسرعان ما كانت تدرج بهم على ممرات الحديقة ... وعند الباب أظهر «أحمد» إشارة الحراس لحارس الباب الذي كان يَعرفه ففتح الباب وعلى وجهه علامات الدهشة ... وأطلق «أحمد» للسيارة العنان ...

قال «عثمان»: هل في ذهنك خطة معينة؟

أحمد: ليست هناك أية خطة سوى الابتعاد عن «باهيا بلانكا». والأرجنتين كلها بأسرع ما يُمكن!

عثمان: ينقصنا «هدى» و«قيس»!

أحمد: هذا ما أفكِّر فيه ... «هدى» سنمر بها الآن لنأخذها معنا، وسوف نرسل إشارة بالشفرة إلى «قيس» ليلحق بنا ... أليس معه جهاز التقاط إشارات يا إلهام؟

ردَّت «إلهام»: نعم ...

عثمان: ولكنه سيكون نائمًا الآن ...

أحمد: سنُكرر له الإشارة بضع مرات.

ومضت السيارة ومؤشر السرعة يتصاعد باستمرار ... كان «أحمد» يعرف أنها ستكون مُطارَدة مخيفة، فسوف يُجنُّ جنون «مارتينز»، خاصةً إذا اكتشف سرقة الفيلم، ولن يتردد في إطلاق عشرات الرجال من عنده، وغيرهم من رجال العصابات في أعقابهم ... وفكَّر أن الطريقة الوحيدة للهرب يجب أن تكون طريقة غير مألوفة، فلو حاولوا الهرب عن طريق الوسائل العادية فسوف يَلحق بهم «مارتينز» ... وكان «عثمان» يُفكِّر في نفس الشيء ... وفجأة قال: الأفضل أن نهرب عن طريق المستنقعات ...

ردت «إلهام» التي كانت تفكر بنفس الطريقة: نعم ... هذا هو الحل الوحيد ... ونستطيع أن نعبر صحراء «بتاجونيا» إلى حدود جمهورية «شيلي». ومن هناك نستطيع الخروج من أمريكا الجنوبية كلها ...

كان هذا فعلًا هو الحل الوحيد الممكن ... فمن المؤكد أن «مارتينز» يمكنه الوصول إليهم في أي مكان في الأرجنتين، وهكذا استقر رأي «أحمد» على ما قاله «عثمان»، وسرعان ما كانت السيارة تدرج بهم إلى قرب كوخ «فيجو» ... وكانت مفاجأة لهم أن وجدوا «هدى» مستيقظة وعندما رأتهم صاحت: هل أتممتم المهمة؟!

ردت «إلهام»: نعم ... ولكن يجب أن نهرب فورًا ... إن «مارتينز» في أعقابنا ...

أحمد: أرسلي تعليمات إلى «قيس» ليَلحق بنا عند حافة المستنقعات، فلقد قررنا الهرب من هناك ...

ثم التفت إلى «عثمان» وقال: أيقظ «فيجو» وأقنعه بأن يَصطحبنا ... إنه الوحيد الذي يستطيع قيادتنا في هذه المستنقعات الخطرة!

أسرع «عثمان» إلى «فيجو» ... كان العجوز مستغرقًا في نوم عميق، وأخذ «عثمان» يهزه ... لقد أصبحا صديقين منذ أنقذه «عثمان» من الموت في المستنقعات، ولم يكد «فيجو» يفتح عينيه ويرى «عثمان» حتى ابتسم قائلًا: صباح الخير أيها الشاب ... ماذا هناك؟!

قال «عثمان»: إننا نحتاج إلى معونتك يا سنيور «فيجو» ...

فيجو: إن «فيجو» العجوز يُحبكم جدًّا، وعلى استعداد لخدمتكم ... ولكن ماذا في إمكاني أن أفعل؟

«عثمان»: إن «مارتينز» يُطاردنا، ونريد الهرب عن طريق المستنقعات إلى صحراء «بتاجونيا»، ومنها إلى «شيلي»...

فتح «فيجو» عينَيه في غضب وقال: ألم أقل لكم إن «مارتينز» هذا مُجرِم خطير؟! إنكم لم تصدقوني ... لقد حذرتكم منه، ودهشت لأن شبانًا ظرفاء مثلكم يقبلون العمل عنده!

عثمان: لقد كنا نُؤدي مهمة معينة يا سنيور، والآن هيا بنا ...

قام «فيجو» العجوز بنشاط، فارتدى ثيابه وصنع قدحًا ضخمًا من القهوة تجرعه في سرعة، ثم ركب السيارة بجوار الأصدقاء وانطلقوا ...

قال «فيجو»: أين زميلكم الخامس؟!

أحمد: لقد اتصلنا به، ولعله يَلحق بنا عند حدود المستنقعات.

فيجو: إنها رحلة شاقة سواء عبر المستنقعات، أو في صحراء «بتاجونيا» القاحلة ...

أحمد: على كل حال هذا أفضل من الموت!

فيجو: سوف أُعطيكم رسالة إلى قبيلة «مونتزوما» التي تعيش على حدود الصحراء ... إنهم فقط الذين يُمكن أن يقودوكم عبر الصحراء إلى حدود «شيلي» ...

ساد الصمت فترة من الوقت والسيارة منطلقة بأقصى قوتها نحو الغرب، وكل واحد من الركاب غارق في خواطره ... وفجأةً قطع حبل الصمت صوت أزيز طائرة غطَّى على صوت المحرك ... ونظر «أحمد» إلى ساعته، كانت السادسة والنصف وقال: لا بدَّ أنها طائرة «مارتينز»! لقد بدأت المطاردة قبل موعدها!

هناك دائمًا مطاردة!

كان بين السيارة وبداية المستنقعات نحو ثلاثة كيلومترات ... وزاد «أحمد» من سرعة السيارة، فقد خشي أن تكون الطائرة مسلَّحة، ومن الممكن اصياده وهو في العراء المكشوف سواء بقنبلة أو بمدفع رشاش ... واندفعت السيارة حتى وصلت سرعتها إلى أقصاها، بينما اندفعت الطائرة ناحيتهم وقد أخذت تنخفِض وتَنخفِض ... وقال «أحمد» لـ «عثمان»: حاول أن تبعدها بالبندقية ...

وأخرج «عثمان» فوهة البندقية من نافذة السيارة، وأطلق بضع طلقات على الطائرة التي كانت على ارتفاع لا يزيد على خمسين مترًا ... وبجوارهم، ومن نافذة الطائرة خرج مدفع رشاش، وانهال سيل من الطلقات حولهم. ودارت الطائرة دورة واسعة، ثم عادت تُواجهُهم من الأمام ... وانتظر «أحمد» حتى أصبحت على مقربة منهم، ثم انحرف بالسيارة عن الطريق، ومضت الطائرة تطلق رصاصها دون أن تصل طلقة واحدة إلى السيارة ... وعندما دارت الطائرة مرة أخرى كان «أحمد» قد بدأ يخفض سرعته، فقد وصلوا إلى منطقة الأحراش العالية، وأصبح من الممكن الاختفاء فيها ... وسرعان ما صاح بهم: استعدوا. ثم دار بالسيارة حول شجرة ضخمة واستخدم الفرامل بعنف، ووقفت السيارة تمامًا ونزلوا جميعًا.

«فيجو»: اتجهوا ناحية اليسار ... هناك كهف عميق كنتُ أعيش فيه أيام الأمطار ...

وانحرفوا جميعًا في اتجاه الكهف، وكانت الطائرة تحوم فوقهم وتُطلق رصاصها على المناطق العارية من الأعشاب ... وعندما اقتربوا من الكهف، أشار لهم «عثمان» أن يتوقفوا، فقد لاحظ أن حية ضخمة من نوع «الأبوا» تلتف على عتبة الكهف، وقد تدلَّى رأسها إلى أسفل ... وأطلق «عثمان» طلقة واحدة أصابت الرأس المدلاة، وارتعد جسم الحية الضخم، ثم تدلَّت وتكومت على الأرض.

أسرعوا إلى دخول الكهف، وأخرجت «إلهام» بطارية أضاءت المكان ... كان كهفًا متسعًا من الصخور الملونة، وقال «فيجو»: هناك سرٌّ يحيط بهذا الكهف ... إنه يمتد إلى مسافة بعيدة داخل المستنقعات ... وله فتحة في النهاية، ولكن المشكلة أن به انهيارات في معظم الأماكن تجعل عبوره مسألة خطرة.

توقف الجميع عند مدخل النفق وقالت «إلهام»: لا بد أن أعود إلى السيارة، هناك بعض الأشياء سنحتاجها في الرحلة.

رد «أحمد»: انتظري قليلًا ... سوف تعود الطائرة إلى القصر، وسيأتي المطاردون بعد قليل، فلا بد أن الطيار اتصل بالقصر باللاسلكي وطلب إرسالهم.

وجلسوا ... وقال «عثمان»: إن «قيس» لم يظهر بعد ...

أحمد: هذه هي المشكلة، ولا بد أن نتصرف سريعًا، لأن من السهل عليهم الوصول إلى هذا الجزء من المستنقعات. ومن الممكن أن يقضوا علينا في دقائق.

سكت «أحمد» لحظات ثم قال: استمروا أنتم في سيركم. وسأنتظر «قيس» وحدي.

هدى: كيف تبقى وحدك ... سأبقى معك!

أحمد: أرجو أن تتحركوا بسرعة، وسأبقى وحدي ... فكلما قل العدد كانت الحركة أسرع، وكل ما أرجوه هو أن تتركوا لنا علامات على خط السير.

والتفت «أحمد» إلى «فيجو» وقال: إننا نسبب لك متاعب أيها السنيور «فيجو» ...

رد «فيجو» بابتهاج: إنَّ «فيجو» العجوز سعيد لأنه ما زال نافعًا ... وقد قلت لك إنني لا أحب «مارتينز» إنه لصٌّ، وقد استولى على كل أملاكي بطرق الاحتيال والنصب ...

أحمد: نعدك بأن نقضي عليه. وفي هذه الحالة سوف تسترد أملاكك ...

وبدأ الجميع ينصرفون، وأخذ «أحمد» بندقية ومسدسًا مع كمية كبيرة من الذخيرة وبعض الأطعمة المحفوظة، ثم صعد إلى إحدى الأشجار الضخمة، واختفى بين أغصانها، وأخذ يراقب مدخل المستنقعات في انتظار ظهور «قيس»، ومضت ساعة دون أن يظهر له أثر، وكانت الطيور التي فزعت لوجود «أحمد» بينها، قد عادَت إلى أماكنها وأخذت ترقبُه بعيون دهشة، وهي تُطلق أصواتها المختلفة الرنين، وعبقت الأشجار برائحة الزهور البرية ... وأحسَّ «أحمد» بالسلام يَغمُرُه، وتمنَّى لو لم يكن في معركة حياة أو موت ليستمتع بهذا المشهد الخيالي ... ومضت فترة أخرى، وفجأة خُيِّل له أنه يسمع صوت سيارة بعيدة، وأرهف أذنيه، وتأكد أنها سيارة قادمة من بعيد بسرعة كبيرة، وأزاح أحد الأغصان جانبًا، وشاهد منظرًا جعل الدم يكاد يجمد في عروقه ...

كان هناك فارس يَجري على جواده في العراء، وخلفه سيارة تُحاوِل اللحاق به ... وبالطبع كانت السيارة أسرع ... ولكنه كان يسير بين الصخور والتلال بعيدًا عن الطريق المرصوف، وسرعان ما تبين «أحمد» أن هذا الفارس الوحيد ليس إلا «قيس» ... فأسرع ينزل من الشجرة ووصل إلى حافة المستنقعات، وألقى بنفسه خلف جذع الشجرة، ومد فوهة البندقية وانتظر ... كان من في السيارة يُطلقُون النار على الفارس الذي كان يجري في اتجاه المستنقعات دون أن يلتفت خلفه ... وقد كان «قيس» بارعًا حقًّا في طريقة جريه، فقد كان يلف ويدور وينثني حتى لا يترك فرصة لمُطارديه لإصابته. ولكن المسافة بدأت تضيق بين السيارة والفارس الشاب، وبدا واضحًا أنها ستلحق به بعد قليل ... أخذ قلب «أحمد» يخفق سريعًا، فلم يكن في إمكانه مساعدة صديقه إلا إذا أصبحت السيارة في نطاق مرمى الرصاص ... ومرَّت دقائق مؤلمة، وانطلقت رصاصة من السيارة أصابت الجواد فأخذ يجري مُترنحًا ... واقتربت السيارة أكثر، وفي اللحظة التي أصبحت في نطاق الضرب أرسل «أحمد» رصاصة زغردت في الفضاء وأصابت الزجاج الأمامي للسيارة ... ورصاصة ثانية أصابت الكاوتش الأمامي. ورصاصة ثالثة أصابت الكاوتش الخلفي ... ودارت السيارة بسرعتها الكبيرة، ثم انقلبت على ظهرها محدثةً دويًّا هائلًا ... وكان الجواد قد سقط، وسقط «قيس» على الأرض، وأصيب في قدمه ... ولكن الإصابة لم تمنعه من الجري حتى وصل إلى «أحمد» الذي تلقَّاه بين ذراعَيه، وأجلسه إلى جوار شجرة.

قال «أحمد»: هل إصابتك خطيرة؟

قيس: مطلقًا ... مجرد التواء في مفصل القدم!

أحمد: وما هي الأخبار؟

قيس: إنهم يُجهِّزون حملة ضخمة من الرجال لمطاردتكم وتحملهم الآن عربات النقل، مع خيولهم ... إنهم طبعًا لا يستطيعون دخول المستنقعات بالسيارات ...!

أحمد: هيا بنا ... لقد سبقنا الآخرون!

سارا معًا ... كان «قيس» يشعر ببعض الآلام، ولكنه تحامل على نفسه ومشى، وكانت «إلهام» قد تركت لهم الإشارات على الطريق الذي سلكوه ... كانت الإشارات عبارة عن شرائط بيضاء معلَّقة في أغصان الشجر، وكان «أحمد» يلتقط هذه الإشارات كلما وصل إلى إحداها، حتى لا يستخدمها أعوان «مارتينز» في متابعتهم.

كانت المستنقعات مرعبة، تنتشر فيها الطحالب والمياه الراكدة والتماسيح والثعابين وأنواع مختلفة من حيوانات أمريكا الجنوبية ... ولو سار فيها أي مخلوق لكان صيدًا

سهلًا لهذه الفخاخ، بالإضافة إلى الرمال المتحركة، ولكن «فيجو» العجوز خبير المستنقعات كان يمشي في هذا العالم الموحش كما يسير في قلب كوخه عند طرف المراعي ...!

وضعت «إلهام» في اعتبارها أن يسيروا بسرعة محدودة حتى يسمحوا «لأحمد» و«قيس» باللحاق بهم ... وفعلًا بعد ساعة تقريبًا استطاع «قيس» أن يميز صوت أشخاص يتحدَّثون في قلب المستنقعات، وسرعان ما كان يُطلِق صيحة الخفاش، وتلقَّى ردًّا سريعًا من «عثمان»، ثم اقترب الاثنان من «عثمان» و«هدى» و«إلهام» و«فيجو» ... وبعد لحظات كانوا يتبادلون التحيات بحماس.

سمعوا فوق رءوسهم صوت طائرة «مارتينز» غادية رائحة ... وقال «أحمد» يسأل «فيجو»: هل يُمكنهم أن يرونا؟

فيجو: ما دمتُ معكم فلن يروكم مطلقًا ...

أحمد: لا أدري ماذا كنا سنفعل دونك يا سنيور «فيجو»، وماذا ستفعل أنت بعد ذلك مع «مارتينز»؟!

ضحك «فيجو» وقال: سأظلُّ معكم! لقد وعدتني أن تهزم «مارتينز»، وأن ترد لي أرضي، وسأبقى معكم حتى نُحقِّق هذا الأمل.

أحمد: نعدك بذلك أيها العم الشجاع ...

مضت القافلة الصغيرة تشقُّ طريقها ... وعندما انتصف النهار اختاروا بقعة بجوار جدول مياه صغير، وتناولوا بعض الأطعمة المحفوظة، وقال «فيجو»: يُمكننا في أي وقت أن نصطاد بعض الأسماك أو العصافير لطعامنا ...

أحمد: إن ما يُهمنا الآن أيها العم «فيجو» أن نبتعد بأسرع ما يمكن عن «مارتينز»!

فيجو: أؤكد لك أنهم لن يستطيعوا اللحاق بكم مُطلقًا ... لا أحد منهم يجرؤ على دخول المستنقعات؛ فهم يعرفون أن الموت كامن فيها!

إلهام: ومتى نصل إلى حدود الصحراء من جهة «شيلي»؟

فيجو: بعد ثلاثة أيام تقريبًا!

ومضى الوقت ... وقد اختفى صوت طائرة «مارتينز» وعرفوا أنه يئس من المحاولة وعاد يُدبِّر خطة أخرى.

ومضت الساعات حتى أقبل الليل. واختار لهم «فيجو» كهفًا قام «عثمان» بتطهيره من الحيات والحشرات، وقضوا ليلتهم الأولى، وناموا جميعًا بعد أن وضعوا نظامًا للحراسة.

وفي صباح اليوم التالي استأنفوا سيرهم.

مضت الأيام الثلاثة وهم يرتاحون قليلًا ويسيرون كثيرًا، وذات صباح استيقظوا فلم يجدوا «فيجو» بينهم ... ووقف الشياطين الخمسة وقد أذهلتهم المفاجأة ... إن غياب «فيجو»، معناه الموت بالنسبة لهم في هذه الأدغال الموحشة ... ولكن اضطرابهم لم يستمرَّ طويلًا، فبعد نصف ساعة ظهر «فيجو» وهو يُهلِّل فرحًا ومعه شخص آخر غريب الشكل ... ووضع الشياطين أيديهم على مسدساتهم، ولكن «فيجو» صاح بهم: لا تخافوا إنه صديق!

وتقدم الاثنان من الشياطين الخمسة وقال «فيجو»: هذا هو صديقي «موري» من قبيلة «مونتوزوما» ... إنه الرجل الذي سيقودنا إلى أول مدينة على حدود «شيلي»، لقد انتهت متاعبكم أيها الشبان ...

وصاح الشياطين الخمسة فَرِحين ... فقد حصلوا على الفيلم الذي سيقودهم إلى المركز الذري، وهربوا من مطاردة «مارتينز» ... لقد حققوا انتصارًا رائعًا، ولكن بقيت المهمة الأساسية ... الإفراج عن العلماء المخطوفين وبينهم العالم المصري، ولكن هذه مغامرة أخرى نقرؤها معًا في العدد القادم ...

هنـــداوي